قراءة في رواية كورتيوس حول وفاة هكتور بن بارمينيون ٣٣١ ق.م.[١]

علاء محمد عامر

جامعة عين شمس– كلية الآداب– قسم التاريخ – مصر

Alaa.mamer10@gmail.com

الملخص: يتناول البحث تفاصيل حادث وفاة هكتور بن بارمينيون، أثناء حملة الإسكندر الأكبر علي مصر. وذلك إثر سقوطه في مياه النيل بعد غرق قاربه. وما أثاره نص المؤرخ الروماني كورتيوس حول تلك الحادثة من تساؤلات، ليضيف رأي الإمبراطور يوليانوس بضلوع الإسكندر في الحادث بعُدًا آخر للموضوع.

الكلمات الدالة: كورتيوس، هكتور، بارمينيون، الإسكندر، يوليانوس، النيل.

A reading on Curtius' text about the death of Hector son of Parmenion 331B.C.

Alaa Mohamed Amer

Department of History - Faculty of Arts- Ain Shams University- Egypt.

Alaa.mamer10@gmail.com

Abstract: This article contains details of the death of Hector son of Parmenion during the campaign of Alexander the great in Egypt, after his boat sank and fallen in the Nile. And the inquiry impact of the text by the Roman historian Curtius on this accident. In addition to the opinion of Emperor Julian about the involvement of Alexander in the accident which added another aspect.

Keywords: Curtius, Hector, Parmenion, Alexander, Julian, Nil.

[١] البحث جزء من رسالة الماجستير المقدمة من الباحث بعنوان "مصر في عهد الإسكندر الأكبر ٣٣٢–٣٢٣ ق.م"، تحت إشراف كلًا من: أ.د. إبراهيم عبد العزيز جندي، أ.د. مصطفي محمد قنديل زايد(جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم تاريخ).

بينما كان جيش الإسكندر فى طريقه لمغادرة منف متجهًا نحو فينيقيا[١]، وافت هكتور– أصغر أبناء القائد المقدوني بارمينيون؛ أكبر قادة جيش الإسكندر الأكبر أثناء حملة الأخير على مصر– منيته بُعيد سقوطه فى النيل. وقد أفرد المؤرخ الروماني كورتيوس[٢]حديثًا مُفصلًا عن تلك الحادثه بقوله :

"عندما كان الملك [الإسكندر] مُبحرًا في النهر. هكتور بن بارمينيون فى ريعان شبابه، وأحد أكثرالمحببين لدى الإسكندر، باغته القدر؛ حيث ركب فى قاربٍ صغير كان يحمل عددًا كبيرًا من الرجال أكثر مما يتحمل، ولذا سقط [في النهر] جراء خسارة المركب لكامل جانبه، هكتور جاهد وقتًا طويلًا فى مياه النهر، مع أن ملابسه كانت مُبتلة وصندله شديد الإحكام على قدمه، قد تداخلا في قدرته على السباحة، وعلى ذلك صار طريقه إلى الضفة منهكًا وكان شديد الإعياء، وحاول أن يلتقط أنفاسه حيث كان الخوف والخطر قد أجهداه، حيث أنه لم يأت أحد لمساعدته– [و] بالنسبة للآخريين استطاعوا النجاه بالوصول للضفة الأخرى – [أما] هو فمات – الملك تملكه حزن عظيم لفقدانه صديقه وحينما إستعاد جثمانه دفُن فى جنازةٍ عظيمة ".

نلاحظ بدايًة اهتمام المصدر بذكر وصف تفصيلي لمجريات الحادث. بينما لم تُعر المصادر الأخرى إنتباهًا لذات الحادثة بالمرة. فضلًا عن كون أسلوب كورتيوس قد شابه الغموض والإختصار والالتباس فى سرده لأحداث أخري متعلقة بحملة الإسكندر على مصر[٣]. على النقيض من تلك الطريقة التى عرض بها تلك الحادثة. فهل كان ذلك ناتجًا عن توافر المادة الخبرية لديه فى أحيان وندرتها بأحيان أخرى، أم أن الأمر له علاقة بوجهة نظر كورتيوس فى أهمية الحدث؟. تلك الأهمية التي جعلته لم يكتف بوصف الحادث، بل حرص علي تصوير الحالة الجسدية والمعاناة النفسية لهكتور!. فهل كان ذلك الاهتمام نابع فقط من كونه إبنًاللقائد بارمينيون، أم أنهصديقٌ للإسكندر؟. من ناحية أخري أني لكورتيوس بتلك التفاصيل الدقيقة حول الحادث؟. لعل الإسكندر لمُصابِه بفقد صديقه قد حقق في أسباب الحادثة؛ وكانت تلك التفاصيل ما جاء علي لسان الجنود. لكن من يُمكنه وصف "الخوف" الذي كان يشعر به هكتور؟.

علي جانب آخر، فعلى الرغم من إحكام سرد تفاصيل تلك الحادثة؛ إلا أنه يشوب بعض جوانبها الغموض، مما يدفع بطرح عدة تساؤلات :

لماذا يستقل عدد كبير من الجنود قاربًا صغيرًا؟. هل فى ذلك إشارة بوجود نقص بعدد المراكب بأسطول الإسكندر وقت المغادرة من مصر؟. وفي تلك الحالة ألم يفطن أحدهم أن ذلك سيؤدى إلى عدم تحمل المراكب لتلك الحمولة؛ وهم رجال بحرعلى دراية تامة بتلك الأمور ؟. إن كان ذلك صحيحًافربما كانت هناك إحتمالية بالفعل أن عملية إخلاء جنود الحملة قد شابها شيئًا من عدم التنظيم أو الإعداد الكامل لمجرياتها !. فمن الجائز أن هناك نقص فى عدد مراكب النقل فى الأسطول، ولكن لماذا لم يتم معالجة الأمر أثناء تواجد الجيش فى مصر؛ حيث

[1]Arrian, *Anabasis of Alexander*, vol. III 6.1, trans. P. A. Brunt. Loeb Classical Library 236. (Cambridge, MA: Harvard University Press,1976).

[2]Quintus Curtius,*History of Alexander*, Volume I: Books 1-5, trans. J. C. Rolfe. Loeb Classical Library 368. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1946),IV.8.7-9

[٣]في الوقت الذي يذكر فيه أريانوس أن مغادرة الاسكندر كانت عبر جسر أُنشيء علي نهر النيل– أي أنه شق طريقه خارج مصر برًا– وعند وصوله إلي صور وجد بالفعل أسطوله بانتظاره هناك [Arrian.III.6.1]. علي النقيض يذكر كورتيوس [Curtius.IV.8.7] أن الاسكندر كان يستقل أحد المراكب وقت وقوع حادث قارب هكتور.

الوقت متاحًا لإتخاذ الإجراءات اللازمة[١]؟.ربما كان ذلك لعدم تنبههم لتلك المشكلة فى مرحلة باكرة علي وقت المغادرة؛ فعلى ما يبدو أن الجيش لم يواجه مثل تلك المشكلة أثناء دخوله مصر ونقل الجنود إلى ممفيس عبرالفرع البيلوزي؛ وربما كان نقلهم يتم على دفعات – مع إحتمالية نقل عدد كبير من أفراد الجيش عبر النهر– لاسيما مع إتساع الوقت لذلك، بينما كانت عملية الإخلاء تتم –علي ما يبدو من النص– في عُجالة.

لكن تلك التساؤلات السابقة مبنية علي إحتمالية أن سبب الحادث نقص في مراكب النقل الخاصة بالجيش المقدوني؛ لكن تلك الأحتمالية تتبدد في حال كان الحادث عرضي؛ تسبب فيه سوء حال ذلك القارب، أو أن الأمرنتج عن سوء تقديرٍ من الجنود للعدد المناسب لحمولة المركب؛ حيث أن المصدر لم يُشر إلي أحداث أخري مشابهة. لكن تلك الإحتمالية أيضًا لا سبيل إلي الدفع بصحتها من عدمه.

علي جانب آخر؛لم يرد بالنص شيء عن أوضاع الجنود الآخرين المصاحبين لهكتور؛ حيث لم يُشر المصدر إلى أعداد الناجين منهم، أو إلي احتمالية حدوث خسائر بشرية بينهم، بل لم يذكر ما واجههم من متاعب! واكتفي بأنهم "استطاعوا النجاة بالوصول للضفة الأخري". لعل ذلك نظرًا لأنه علي ما يبدو لم يكن مهتمًا سوي بحال هكتور دون سواه، فربما لو أن هناك حوادث أخري مشابهة لم يكن ليُعيرها إنتباهًا. وذلك أمر وارد؛ فلم يكن الحادث لتذكره المصادر سوى لإرتباط آثاره بشخصية ذات أهمية، أو أن تبعاته كانت من الخطورة بمكان لتتناولها الروايات[٢] بالتفاصيل.

لكن لماذا يذهب إبن القائد بارمينيون وشقيق كلًا من القادة فيلوتاس ونيكانور؛ بل وأيضًا صديق الإسكندر– كما وصفه المصدر– ليستقل قاربًا صغيرًا يعج بالرجال؟. لعل هذا يعنى أنه قد تخلف عن الركب لسبب ما، مما يفسر عدم وجوده مع أبيه أو أخويه بالمقدمة؛ أو أن يكون في مصاحبة الإسكندر"صديقه"؛ ولذلك سارع في مشاركة مجموعة كبيرة من الجنود –الذين ربما كانوا غافلين عن شخصه– مركب النقل ذاك.

من ناحية أخري ساق كورتيوس في سرده ظروفًا مهد بها تقبل وفاة هكتور القدرية "باغته القدر"؛فالقارب الصغير "كان يحمل عددًا كبيرًا من الجنود أكثر مما يحتمل"،وكذلك كانت "ملابسه المبتله وصندله شديد الإحكام على قدمه، قد تداخلا في قدرته علي السباحة"!. أوليس هذا الوضع يشترك فيه جميع من كانوابالقارب!. في الوقت الذي وصفه النص بأنه "فى ريعان شبابه"!. مع إختلاف التقديرات حول عمره وقت وفاته؛ فهناك من قدّره بتسعة عشرعامًا، وفى تقدير آخر أنه كان في التاسعة والعشرين من عمره[٣]. مما يجعل التساؤل مطروحًا حول سبب

---

[١]لعل ذلك العجز نتج عن استقبال جيش الإسكندر لتعزيزات عسكرية أثناء تواجد الحملة بمصر، وإن لم تكن بالأعداد الكبيرة[Arrian,*Alexander*III.5.1]

[٢]كما ورد عند ديودوروس (XVII.97.1–3) أثناء عبور نهر إندوس وما عانته الحملة من حدوث إرتباك جماعي لعدد من السفن والمراكب مما تسبب في خسائر كبيرة حيث تصادمت السفن بعضها بعضًا فغرقت سفينتان، وجنحت عدد من السفن الأُخرى الصغيرة، وتعرضت سفينة الإسكندر للخطر.

[3] WaldemarHeckel. *Who's Who in the Age of Alexander the Great. Prosopography of Alexander's Empire*(Oxford: Blackwell, 2006), 31

والتقدير الأول ذكره المرجع نقلًا عن Berve والتقديران يعوزهما السند المصدرى, ولا يستندان سوى لمنطق صاحبيهما.

وصوله لذلك السن –لاسيما الأخير– دون توليته أى منصب عسكرى! فهل كان ذلك لعدم كفائته؟ بالرغم من إنتسابه لعائلة عسكرية تشغل أرفع مناصب القيادة فى جيش الإسكندر، أم كانت به علة مرضية تحول دون ذلك؟. ولعل الافتراض السابقيمكن أن يفسر تلك الحالة الإعيائية التى كان عليها وقت وصوله لضفة النهر. ولكن لا يوجد أية إشارة أو تلميح مصدري حول ذلك.

بيد أن الأكثر غرابة في سرد كورتيوس، فكرة إختلاف الإختيار–إن كان في هذا الموقف خيار– بين هكتور وبقية الجنود، في التوجه إلي إحدي ضفتي النهر طلبًا للنجاة؛ فكما ورد بالنص فإن كُلًا منهم إتجه لضفة مغايرة. وربما يشيرذلك لوقوع الحادث فور ابتعادهم عن الشاطيء، ومن ثم بالقرب من إحدى ضفتي النهر؛ تلك التي إتجه إليها كافة الجنود الناجين من الغرق، بينما بدا أن هكتور"الوحيد" الذي لم يفطن لذلك وواصل السباحة للضفة الأُخرى. بينما منطق الأحداث يقضى بأنه حال خسارة المركب لأحد جانبيه – مما يخل باتزانه–سيسقط جميع من فيه بالنهر، وبطبيعة الحال فإن الجنود الملاصقين للجانب المُنهار من المركب أسبق – نسبيًا – فى السقوط فى الماء، مما يجعل المركب الغارق حائلًا دون التقاء الجنود لتحديد وجهتهم للنجاه، فكلًا منهم سيحاول النجاة بنفسه عبر الوصول إلى الضفة المواجهة له ولن يلتفت إلى من حوله أو إلى أين يتجهون، ولكن الأمر كما جاء فى النص حدث بصورة مغايرة؛ حيث إتجه كل من بالمركب إلى ضفة بينما– على النقيض– يذهب هكتور للضفة الأخرى، فى صورة يصعب تحليلها.

علي جانب آخر جعل كورتيوس إختيار هكتور للضفة المخالفة لإختيار بقية الجنود يبدو سببًا لجعل العيون تغفل عن إنقاذه؛ وقت الانشغال ببقية الجنود. ومن ثم فقد بدا أن هكتور قد أخطأ نسبيًا، فكان إنفصاله عن بقية من كان يُقلهم المركب قد جعل الالتفات إلى مكانه ضئيلًا وسط الإهتمام الأكبر نحو إنقاذ الآخرين، مما جعل الإجهاد يتملك منه بمرور الوقت "الخوف والخطر قد أجهداه".، الأمرالذى جعله أيضًا غير قادرٍ على طلب المساعدة. بالرغم من كون السباحة بتلك الصورة المُجهدة التى وصفها المصدر– "جاهد وقتًا طويلًا فى مياه النهر"– جعلت من الوصول للضفة يستغرق بعض الوقت؛ الأمر الذى ربما كان كفيلًا بجذب إنتباه أي من المراكب الأخرى، إلا أن ذلك لم يحدث.

لكن كيف بهكتور إبن وشقيق أكبر قادة الجيش أن يتعرض لذلك الخطر؛ ومع ذلك "لم يأت أحد لمساعدته"!. وما سبب ذلك التخبط؛ سواء في قرار هكتور، أو في تصرف بقية الجنود؟!. ربما كان ذلك بسبب أن القارب كان فى المؤخرة بعيدًا عن بقية مراكب الجنود الأخري. وربما كانت المراكب تسير على مسافات متباعدة، أو أن حمولتها كانت زائدة– كحال المركب الغارق– مما أعاقها عن تقديم مساعدة فورية لإنتشال الناجين، بل تُركوا حتى يصلوا لضفة النهر سباحًة. وبطبيعة الحال فإن حادثة غرق أحد المراكب ستؤدى إلى إرباك نظام حركة المراكب الأخرى التى كانت تُقل ذلك الحشد من الجنود، الأمر الذي سبب عدم الانتباه لحال هكتور.

نلاحظ أن كورتيوس لم يكتف بسرد الأحداث، وإنما قام بتحليل الوضع النفسي؛ وتخيل ما كان عليه حال هكتور وقت وصوله لضفة النهر من إجهاد وصعوبة تنفس، والخوف والخطر اللذان أصاباه بحالة إعياء، ولكن كيف لكورتيوس أن يصف ذلك؟ ولماذا تحمل عناء وصف حال هكتور على هذا الوجه؟ وما سبب ذلك الاهتمام من قِبْل

كورتيوس؟. لعل الإجابة تكمن في مكانته لدي الإسكندر؛ فقد ركز كورتيوس على رصد رد فعل الإسكندر تجاه نبأ ما أسفر عنه الحادث بأنه قد "تملكه حزن عظيم"، وأتبعه بتفّسير ذلك لكونه قد فقد صديقه و"أحد أكثر المحببين لديه".

أما رد فعل بارمينيون وولديه فلم يُعره كورتيوس إنتباهًا. ومن ثم فإن اهتمامه بالحادث كان نابعًا من علاقته بالإسكندر، وتأثر الأخير بالحادث. وليس لكونه إبنًا وأخًا لأهم القادة بالجيش المقدوني.

وبينما يتجه ظاهر نص كورتيوس إلي التركيز علي الجانب الإنساني للحادث، ومدي وقعه علي نفس الإسكندر. هناك ما يجعل الإتجاه لتحليل ما وراء النص بتصور آخر ذا طابع سياسي؛ استنادًا لما ورد بنص أحد خطابات الامبرطور يوليانوس[1](٣٦١-٣٦٣ م)؛ حين أخذ يسرد من أفعال الإسكندر ما وصفه بـ "حماقاته"؛ بقوله: "إبن بارمينيون، فيما يتعلق بهكتور عندما اختنق في دوامة الماء بنيل مصر أو بالفرات- القصة قد رويت عن النهرين". أي أن هكتور توفي مُختنقًا في ماء النهر- (النيل أو الفرات) لم يكن ذلك ليغير شيئًا في توصيف وفاة هكتور أو بالأحري مقتله!-.

ومن ثم؛ فوفق رواية يوليانوس، فإن هكتور لم يتوفي" قدرًا" إثر الانهاك الذي ناله من الحادث، وإنما لقي حتفه "غيلًة" غرقًا في مياه النهر، في حادث مُدبر[2]. وجاء سرده لأحداث "قتل كاليثينيس بوحشية" و"وقوع كليتوسضحية غضبه[الإسكندر]"، "وأيضًا فيلوتاس وبارمينيون" -برغم أنها لاحقة لحادث هكتور- يحمل إشارةإلي أن الإسكندر كان وراء الحادث. وإن لم يوضح كيفية ضلوعه في تدبيره. لكن بالعودة إلي تفاصيل رواية كورتيوس حول الحادث؛ هل كان ذلك عبر القارب المُتهالك؟. أم بيد الجنود الذين كانوا معه علي متن القارب؟ أو بيد الجنود التي لم تمتد لإنقاذه من الغرق؟. ولعل العلم المُسبق بحالة هكتور الصحية- فرضًا بضعفها- كان كفيلًا بأن ييسر إغراقه بمجرد تدبيرسقوطه في مياه النهرحيثما تكثر دواماته، دون تدخلات أخري.

علي جانب آخر؛ إن كان ذلك الحادث كان قد وُصِف بأنه من شأنه أن يكون إيذانًا بأفول قوة بارمينيون - قبل حادثة فرادا فى أواخر ٣٣٠ ق.م[3]- بالتخلص من أصغر أبناءه!. فهل كان الإسكندر فى حاجة إلى مثل هذه الحادثة لتقويد سلطة أحد قادته؟. ولو كان كذلك فكيف لمقتل أصغر أبناء بارمينيون- الذي من المحتمل أنه لم يكن يشغل أى منصب عسكرى كأخويه[4]- أن يؤثر علي قوة القائد المقدوني في الجيش. هل كان بارمينيون يسعي لتولي هكتور منصبًا عسكريًا كأخويه؟ بما يزيد من نفوذه داخل صفوف الجيش. من ناحية أخري لماذا كان التدبير للحادث؟- بينما ما ساقه يوليانوس من أفعال الإسكندر الأخري كانت علنية وليست بتدبير وخديعة- أكان خشية رد فعل بارمينيون وولديه؛ لما يتمتعوا به وقتئذ من نفوذ ؟. وهل كان الإسكندر ليُقدِم علي إثارة البلبلة داخل صفوف الجيش وبأكبر قاداته وهو علي مشارف مواجهة عسكرية حاسمة مع عدوه داريوس؟. أم أن الأمر كان تنفيسًا عن

[1] Julian, letters. Epigrams. Against the Galilaeans. Fragments. Translated by Wilmer C. Wright. Loeb Classical Library 157(Cambridge, MA: Harvard University Press, 1923),50.
[2] Robin Lane Fox, *Alexander the Great* (London, 1978)221.
[3] WaldemarHeckel,*The Wars of Alexander the Great*(London: Routledge,2003),219.
[4] Waldemar Heckel, *Who's Who in the Age of Alexander the GreatProsopography of Alexander'sEmpire*(Oxford: Blackwell, 2006), 31.

غضبه المتصاعد تجاه تلك الأسرة جراء ما تنامي إلي مسامعه عنهم ؟. ومن ثم كان يسعي إلي أن يجعل الحزن يفت في عضد بارمينيون وولديه.

من ناحية أخري؛ في ضوء اتهام الإسكندر بالضلوع في تدبير الحادث، يمكن إعادة تفسير إهتمام كورتيوس بذلك الحادث. وذلك الأسلوب الذي إتبعه للتأكيد علي أن هكتور قد "باغته القدر"، وأن ظروفًا متداخلة أدت إلي وفاته. مع السعي للتأكيد علي مدي قرب هكتور من الإسكندر فهو"أحد أكثر المحببين" و"صديقه". وحرصه علي بدء سرده بذكر تواجد الإسكندر بعيدًا وقت وقوع الحادث، وإنهاء حديثه بمدي الحزن الذي تملكه لفقدانه، وتكريمه لـ "صديقه" بـ "جنازة عظيمة".ومن ثم لم يكن محور الاهتمام بالحادثة علاقته المقربة بالإسكندر، وإنما إبراز وتأكيد وجود تلك العلاقة.

وختامًا هل كان هذا الإتهام مُفسرًا لذلك الإهتمام من قِبْل كورتيوس فى سرد كافة تلك التفاصيل عن الحادث؟. وهل كان ذلك الإتهام شائعًا زمن الإمبرطور يوليانوس[١]في القرن الرابع الميلادي؟ وإن كان كذلك بالفعل؛ فهل كان كذلك في القرن الأول الميلادي حيث ينتمي كورتيوس؟ ولذا انبرى فى محاولة مستترة كي يدفع الإتهام عن الإسكندر ويبرئ ساحته ؟!. وماذا عن صمت المصادر الأخرى؟. هل آثرت عدم ذكر الحادثة؟. أم لم يكن لها وجود من الأساس؟. أسئلة لا مجال لوضع إجابات حاسمة بشأنها.

[١]لعل الأمر يعبر عن رؤية يوليانوس الشخصية للحادث، متأثرًا بالأجواء التي أحاطت به في حياته حتي توليه العرش؛ حيث كان وشقيقه جاللوس–أبناء أحد أشقاء الإمبراطور قسطنطينوس– الناجيين الوحيدين من المذبحة التي جرت في ٣٣٧م، علي يد القوات التي أعملت القتل في كل أقرباء الإمبراطور الراحل ممن قد يدّعون أحقية وراثة العرش. وفي ٣٥٤م تم إعدام جاللوس علي يد إبن عمه الإمبراطور قسطنطينوس، وفي ٣٦٠م كان الإمبراطور قد بدأ يتشكك في يوليانوس ويتجسس عليه، وأراد أن يُضعف من مركزه العسكري، بينما هتفت قوات يوليانوس به إمبراطورًا.
سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية .السياسي والحضاري(القاهرة: دار النهضة العربية،١٩٧٨)، ٤٥٤-٤٥٦ .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

1. Arrian, Anabasis of Alexander, Volume I: Books 1-4. Translated by P. A. Brunt. Loeb Classical Library 236 Cambridge, MA: Harvard University Press, 1976.
2. Diodorus Siculus. Library of History, Volume VIII: Books 16.66-17. Translated by C. Bradford Welles. Loeb Classical Library 422. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1963.
3. Julian. Letters. Epigrams. Against the Galilaeans. Fragments. Translated by Wilmer C. Wright. Loeb Classical Library 157. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1923.
4. Quintus Curtius. History of Alexander, Volume I: Books 1-5. Translated by J. C. Rolfe. Loeb Classical Library 368. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1946.

ثانيًا- المراجع الأجنبية:

1. WaldemarHeckel. The Wars of Alexander the Great. London: Routledge, 2003.
2. Waldemar Heckel. Who's Who in the Age of Alexander the Great. Prosopography of Alexander's Empire. Malden, MA: Blackwell, 2006.
3. Lane Fox, Robin J. Alexander the Great. London, 1978.

ثالثًا- المراجع العربية:

١. سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية .السياسي والحضاري، دار النهضة، القاهرة (١٩٧٨).